المكتبة الخضراء للأطفال

٥٧

طيور الأحلام

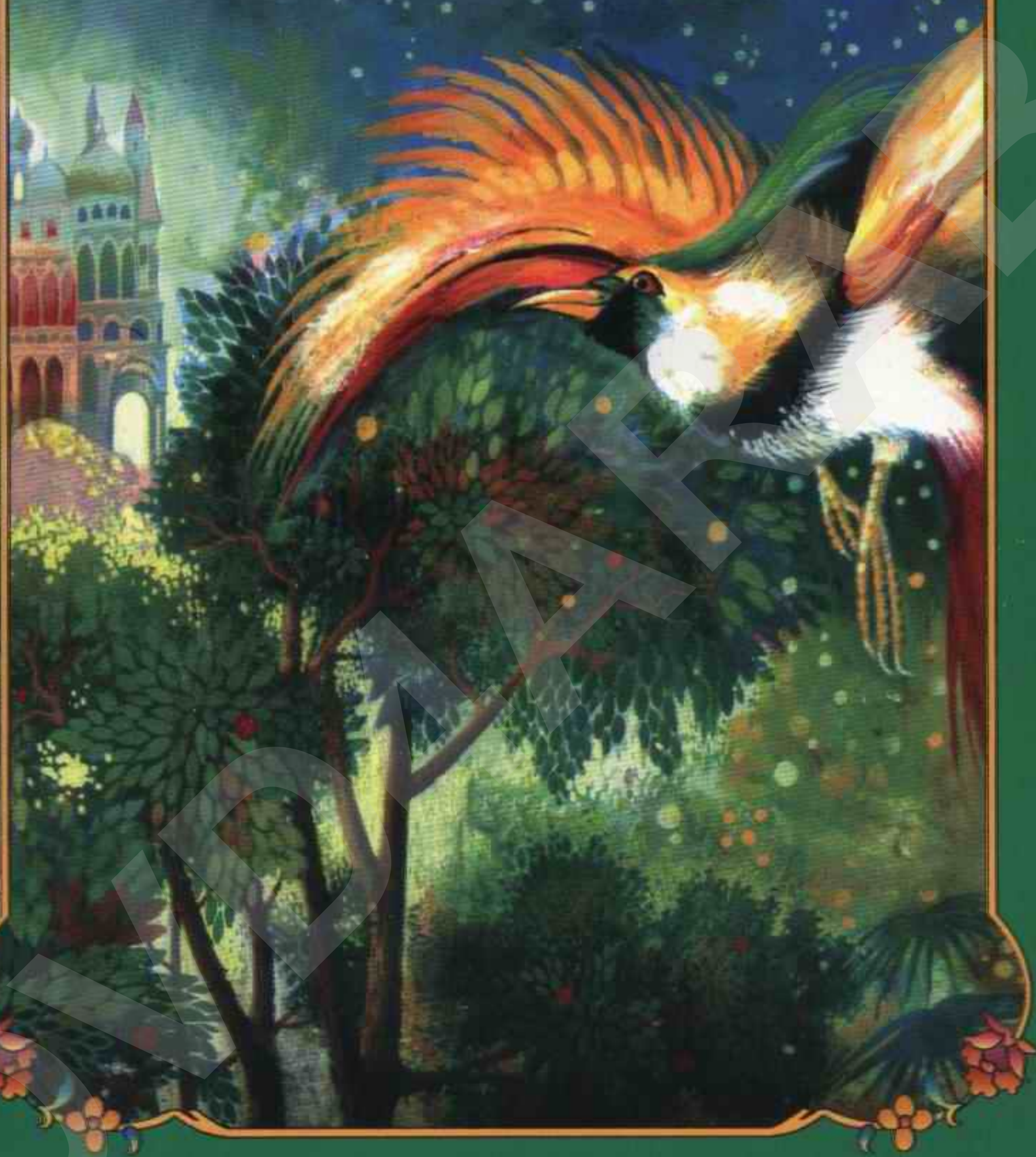

تأليف

يعقوب الشارونى

رسوم

جمال قطب

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

٥٧

طيور الأحلام

تأليف
يعقوب الشارونى

رسوم
جمال قطب

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
ادارة الشئون الفنية

الشارونى ، يعقوب
طيور الأحلام / تأليف يعقوب الشارونى ؛ رسوم جمال قطب
القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦.
٤٨ ص ، ٢٤ سم — (المكتبة الخضراء للأطفال ؛ ٥٧)
تدمك : ٦ — ٦٩٧٨ — ٠٢ — ٩٧٧
١ — قصص الأطفال.
(أ) قطب ، جمال (رسام) .
(ب) العنوان
(جـ) السلسلة.

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الايداع ١٦٥٥٢ / ٢٠٠٦ ٧/٢٠٠٦/٢٣

شخصيات القصة

الملك
شاه
نعمان
ملك
شيراز

الأميرة
حياة
النفوس

الأمير
شهرمان
ولى عهد
شيراز

دادة
ريحانة
مربية
الأميرة

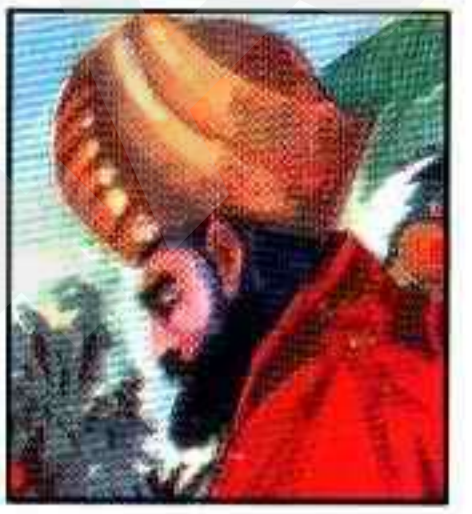

وزير
شيراز
الحكيم
زيدان

ملك
بابل
والد
الأميرة

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج . م . ع
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

١

« لَنْ أقابلَ هَؤلاءِ السُّــفرَاءَ .. قُولُــوا لَهُم إنَّنى لا أفكِّرُ فى الزَّواجِ .. إِذَا أكْثَــروا مِنْ الإلْحاحِ صَارحُوهُمْ بِالحَقيقَةِ : لَنْ أتزوَّجَ .. هَلْ سمِعْتُم ؟! أنا لَنْ أتزوَّجَ ! ! »

وتَظاهَرَ سهمان وَزيرُ مملَكةِ بابل بأنَّه لَمْ يسمَعْ ! .. تجمَّدَتْ مَلامِحُ وجهِهِ ووقفَ فِى مكانِهِ لا يتزحزَحُ ..

بِالأمــسِ ســألَهُ والدُها « المَلِكُ شــهابُ الدِّين » فى حَــيرَةٍ : ابْنَتِى الوَحيــدةُ وولِيَّةُ عَهْدى « حياةُ النُّفــوسِ » جَميلَةٌ وذكِيَّةٌ ، لمَاذَا ترفُضُ كُلَّ مَــنْ يتقدَّمُ لِخِطبَتِها ، حَتَّى إِذَا كانَ الأميرَ « شــهرمان » ابْنَ مَلِكِ شيراز أَغْنَى المَمَالكِ المُجاورةِ ؟! » ...

وَلم يجِدِ الوزيرُ سهمان إجابَة مُقنِعة عَنْ سُؤالِ مَوْلاهُ !

والوزيرُ يواجِهُ وَحْدَهُ الآنَ غَضَبَ الأميرةِ ! ..

انتظــرَ لَحَظاتٍ لعَــلَّ حياةَ النُّفوسِ تَهْدأ ، وَفِى صَــوْتٍ – جاهَدَ أَنْ يكونَ خاليًا مِنَ الانْفِعالِ – عادَ يقولُ لَهَا فِى تأكِيدٍ : « المُستقبَلُ أمامَهُ لامِعٌ كَبيرٌ .. ستُصبحينَ يومًا مَلِكةً على بابل وشيراز معًا ! »

صوَّبَتْ عينَيْهَا إلى وَجْهِ الوزير فى تَأْنِيب يشوبُهُ شَىْءٌ مِنَ السُّخْريةِ : « إذَنْ فَهُــوَ يَسْــعَى إلى ضَمِّ المملكتَيْنِ ؟! .. الرجــالُ لا يَبْحثُونَ إلاَّ عَنِ السُّلْطةِ أو المَجْدِ ! .. هَلْ للزَّوجاتِ مَكَانٌ فِى طُموحَاتِكُم ؟! ! »

وقبلَ أَنْ يُجيبَ الوزيرُ عَادَتْ تقولُ : « هَلْ بابلُ العظيمَةُ لا تتَّسِــعُ بِمَــا فيــهِ الكفايــةُ لأكــونَ سعيــدةً بحُكْمِهَــا يومًا ؟! »

ثُـمَّ أَضافَتْ وهى تَسْتديرُ مُبتعِدَةً : « قُولُوا لَهُم : عَلى كلِّ واحِدٍ مِنَّا أَنْ يكتفِىَ بمَمْلكتِهِ ! »

وَلَمْ تنتظِرْ لِتسـمَعَ شَيْئًا آخَرَ ، بَلْ أسـرعَتْ تُغادِرُ القاعَةَ الذهبيَّةَ ذاتَ النُّقـوشِ النَّـادرةِ ، التى أَعَدَّهَا الوزيرُ لِيلتقِـىَ فيهَا والدُهَا مَلِكُ بابل بسُـفراءِ مملكةِ شيراز ، وَاختفَتْ خَلْفَ الباب المُؤدِّى إلى أَجْنحَةِ القصْـرِ التى تعيشُ فيه حياتَهَـا الخاصَّةَ ، بعدَ وفـاةِ والدتِهَا الملكةِ « فَخْرِ الزمانِ » .

(٢)

لَمْ يُصدِّقِ الأميرُ « شهرمان » ما سَمِعَهُ مِنْ كَبيرِ السُّفراءِ ! ..

كانَ كَبيرُ السُّـفرَاءِ قد تَوجَّهَ فَوْرَ عودتِهِ مِنْ مملكةِ بابلَ إلى الجَناحِ الِّذى يُقيمُ فيه الأميرُ « شهرمان » ولِىُّ العَهْدِ بقصرِ والدِهِ « شاه نعمان » ملكِ شـيراز ، ونقلَ إلى الأميرِ فى كَلِماتٍ قليلةٍ أَخبارَ الرَّفْضِ الحاسِمِ الذى قابَلُوهم به فى بابلَ .

سـألَهُ « شـهرمان » فى ضيقٍ ودهشـةٍ : « تقولونَ إنكم عُدْتُم بغَيْرِ مُقابَلةِ الملِكِ ؟! »

وفـى تَعبيرٍ عَنْ عَـدَمِ الرِّضا قالَتْ كبيرةُ الوَصيفـاتِ التى صاحبَتْ جماعـةَ السُّـفـرَاءِ : « بَـلْ حَتَّـى أنا لَمْ تسـمحْ لى الأمـيرةُ « حياةُ النُّفوس » أَنْ أقابلَهَا ! ! »

التفتَ إليهـا الأميرُ « شـهرمـان » وقد اندفعَ الدَّمُ حارًّا إلى رأسِهِ ، فأسـرعَ كبيرُ السُّفَراءِ يُحاولُ تهدِئَـتَهُ : « كُلُّ أمَـراءِ الممالكِ المُجاورةِ يؤكِّدونَ أَنَّهم لا يَسْمَعونَ فى قصرِ بابلَ إلا كلمةَ « لا » .

لَكِــنَّ كبيرةَ الوَصيفاتِ أضافَتْ وابتســامةٌ تتلاعَبُ عَلَى شــفَتيْها :
« ومعَ ذلك فَهِىَ أجْمَلُ الجَميلاَتِ يا مَوْلاىَ ! ! » .
انقلبَــتْ ملامِحُ الأميرِ من الضِّيــقِ والغَضبِ إلى الدَّهشــةِ البالغَةِ :
« تقولينَ إنَّكِ لَمْ تُقابليهَا ؟! » .
اتسعَتِ ابتســامَةُ الوَصيفةِ : « لكِنَّنى رأيْتُهَا وإنْ كانَتْ لَمْ ترَنى ..
سيكونُ يومَ السَّعْدِ لَكَ يا سَيِّدى إذَا وافَقَتْ ! » .
ارتمَــى الأميرُ عَلى مَقْعدِهِ وهو يَهْمِسُ ســاخِطًا : « النظرةُ مِنْ بعيدٍ
لا تَكْفِى .. أودُّ معرفةَ شَىْءٍ عَنْ طباعِهَا وعقلِهَا .. خبراتِهَا وحِكْمتِهَا..
هَلْ يُحبُّها أهلُ بَيْتِهَا والعامِلُونَ فِيهِ ؟ » .
التفتَ كبيرُ السُّــفراءِ إلى كَبيرةِ الوَصيفَاتِ يَسْــتنجدُ بِهَا أَنْ تُجيبَ
بشَىْءٍ ..
قالَــتْ : « عرفْتُ مِنْ مُربِّــيَتِهَا « دادة ريحانة » أنها لا تُغلِقُ بابَها
فى وَجْهِ أيةِ فتاةٍ أو سَيِّدةٍ تُريدُ تفسيرًا لِحُلْمٍ ! » .
قفــزَ الأميرُ واقفًا وَقَــدْ ملأتْهُ الدَّهْشــةُ : « هِىَ قادِرَةٌ على تَفْســيرِ
الأَحْلام؟! !.. هَذِهِ هِبَةٌ من السَّماءِ لا يستحِقُّها إلاَّ أحكَمُ الحُكَماءِ! » .
أضافَــتْ كبيرةُ الوَصيفاتِ فى تأكيدٍ : « كُلَّما جــاءَ ذِكْرُها أمامَ أيَّةِ
سَــيِّدةٍ مِنْ شعبهَا، تَظهرُ ابتســامةُ الرِّضا عَلى الوُجوهِ .. هِىَ حَبيبــةُ
الأطفــالِ، ومُجفِّفَــةُ دُموعِ الكِبارِ.. قَالُوا لِى ، مَعَ جمالِهَا السَّــاحِرِ ،
فهِىَ حازمَةٌ ، طيِّبَةُ القَلْبِ وكَريمةٌ ... » .
وَلَمْ ينتظرِ الأميرُ « شهرمان » سَماعَ شَىْءٍ آخَرَ ...
لقدِ امْتَلأ عَزْمًا وتَصْمِيمًا ...

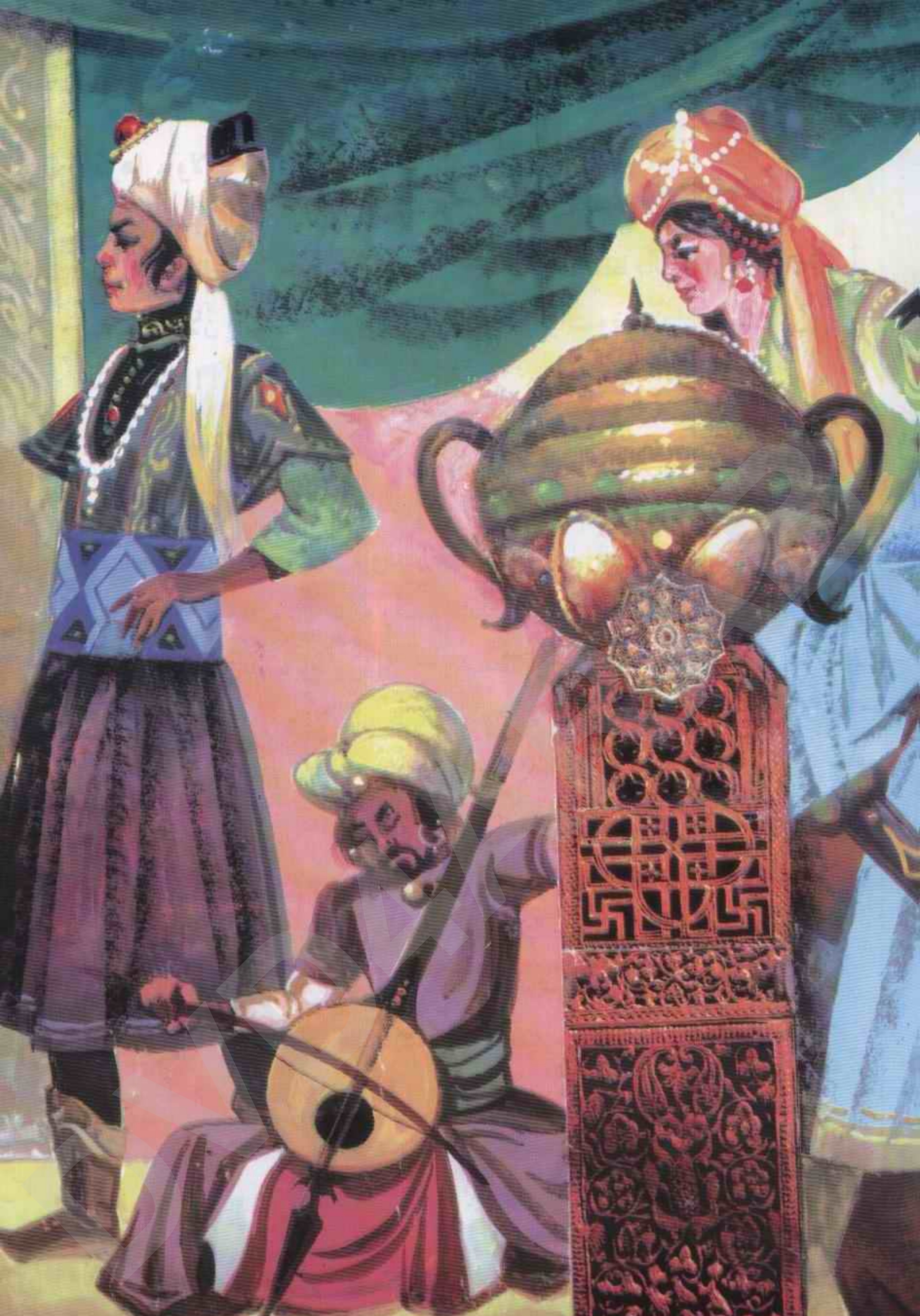

هَمَسَ كأنمَا يَـرَى المُسـتقبَـلَ عِنْـدَ أطْـرافِ أصابعِهِ : « لَنْ أتـزوَّجَ غَيْرَهَا ، ولابُدَّ مِنَ الفوْزِ بمُوافقتِهَا ... » .

وكانَ يـوَدُّ لَوْ أعلَـنَ صَراحةً أنَّ « حيـاةَ النُّفوسِ » قَدْ مـلأَتْ علَيْهِ قلبَـهُ وخيالَـهُ ، لكنَّهُ وجَدَ مِـنَ الحِكْمَةِ أن يحتفِظَ بأسْـرار عواطفِهِ لنفسِـهِ، لأنَّ إصْرَارَهَا عَلى الرَّفْضِ بغَيْرِ مُبرِّراتٍ وضعَ أمامَهُ كثيرًا مِنَ التَّساؤلاتِ ! !

(٣)

فى دهشَـةٍ شَديدَةٍ نظرَ المَلِكُ « شاه نعمان » مَلِكُ شيراز إلى ابنهِ ووَلِيِّ عهدِهِ الأميرِ « شـهرمان » وقالَ له فِى احتجَاج : « هَلْ نَسِـيتَ أنَّنِى مَريضٌ وقد يحدثُ أىُّ شَىْءٍ وأنت غائِبٌ عن المَمْلَكةِ ؟! » .

بغَيْرِ تردُّدٍ أجابَ « شهرمان » : « صِحَّتُكَ أفضلُ مِنْ صِحَّتِى يا والِدِى ، وعندمَا أعودُ ومعى « الأميرةُ حياةُ النُّفوسِ » سـنملأُ حياتَكَ سَـعادةً ، فيَطولُ عُمْرُكَ وتهربُ منك كلُّ الأمراضِ ! » .

اعـترضَ المَلِكُ : « أنتَ تُقدِّمُ لى فِراءَ الـدُّبِّ قَبْلَ صَيْدِهِ ! ! .. عَرَفْتُ أَنَّهَا لاَ تطيقُ سماعَ شَىْءٍ عَنِ الزَّواجِ ! » .

فى حَماسٍ قالَ الأميرُ الشـابُّ : « لهَـذا لَـمْ أَجِدْ مفرًّا مِـنَ الذَّهابِ إليهَا بنَفْسِى ، مُتَخفِّيًا فى زىِّ تاجرٍ مَعَ تِجارَتِهِ » .

صاحَ والِـدُهُ مُؤنِّبًا : « ليسَ مِنْ عادَةِ أبْناءِ المُلوكِ الذَّهابُ بِأنفسِـهم لاسْتِرْضَاءِ زَوْجاتِ المُستقبَلِ ! ! » .

فـى سُرعةٍ أجابَ الأميرُ : « لكنَّها أميرةٌ ليسَتْ كَكُلِّ الأميـراتِ !..

هى تُفسِّرُ الأحلامَ أفضلَ من الحُكَماءِ ! .. لذلكَ سأَصْطحِبُ معى «وزيرَنا زيدان » أحكمَ الحُكَماءِ !

هُنَا أدركَ المَلِكُ الشَّـيْخُ أنَّ ابنَهُ قد اخْتارَ للسَّـفرِ أفْضَلَ صُحبةٍ ، وأنّه لَنْ يكونَ علَى اسْـتِعْدادٍ للتَّوقُـفِ أَو التَّراجُع ، فاضطُـرَّ إلى إنْهاءِ الموقِفِ وهو يتنهَّدُ فى أسَفٍ : « هَذَا معناهُ اتِّفاقُكم مِنْ وَراءِ ظَهْرى على كُلِّ شَىْءٍ !!.. انْهَـبْ إذَنْ ولا تحـزَنْ إذا عُـــدْتَ بغَيْرِ حياةِ النُّفُـوسِ .. وتَذكَّرْ دائمًا أنَّكَ « الأميرُ شهرمان » ابنُ « المَلِكِ شاه نعمان » مَلِكِ بلادِ شيراز العظيمَةِ ! »

٤

فُوجِئَ الحُرَّاسُ عَلَى بَوَّابةِ مَدينَةِ بابلَ بقافِلَةٍ لم يُشاهِدوا مِثْلَ عظمتِها مِنْ قَبْلُ ، تطلبُ الدُّخولَ .

وعندما عَرفوا أنها للتَّاجِرِ الشابِّ « بدر باسم » القادِمِ من شيراز - وهِيَ الشَّخصيَّةُ التى تَخفَّى فِيهَا الأميرُ شهرمان - رحَّبُوا به ، وقادَهُ شَيْخُ التُّجَّار إلى دَارِ الضيافَةِ انتظارًا ليختارَ أحدَ مَحلاَّتِ التِّجارَةِ الكبيرةِ وسطَ السُّوقِ ليبيعَ فيهَا ما جاءَ به مِنْ أقمشَةٍ حَرِيرِيَّةٍ فَاخِرَةٍ اشتهرَتْ شيراز بصناعتِها .

وكانَ « شهرمان » قد عَرفَ مِنْ كَبيرةِ وصيفاتِ قَصْرِ والدِهِ ، أَنَّهَا الأقمشةُ المُفضَّلةُ عِنْدَ الأميرَةِ « حياةِ النُّفوس » .

وزيادةً فى الكِتْمانِ ، حرَصَ ألاَّ يُرافِقَهُ أىُّ واحِدٍ ممَّنْ سبقَ وجاءوا مع السُّفَراءِ الذين رفضَتْ « حياةُ النُّفوسِ » طلبَهم ، بَلِ اصطحبَ معه الوزيرَ « زيدان » وَحْده ، وأطلقَ عليه لقبَ « الوكيل نجم الكاشف » إمعانًا فى التَّخَفِّى .

٥

لَمْ يكُنْ غريبًا أَنْ تستقبلَ « الأميرةُ حياةُ النَّفُوسِ » مُربِّيَتَها المَرِحَةَ « دادة ريحانة » بعدَ عودتِهَا مُباشرةً مِنَ السُّوقِ ، فمدينةُ بابلَ لم تكُفَّ عن الحَديثِ حَوْلَ الأقمشةِ الحريريّةِ النَّفيسَةِ ذاتِ الرُّسوم الخيَّاليةِ البديعَةِ التى يعرضُها التَّاجِرُ الشيرازىُّ الشابُّ ، الذى افتتحَ قبلَ أيام قليلَةٍ أكبرَ مَتجَرٍ فى المدينةِ لبَيْعِ أَفْخَرِ المَنْسوجاتِ .

كانَتْ « ريحانة » تعرضُ أمام سيِّدتِها نماذجَ مُتعدِّدَةً من أجملِ الأقمشةِ النَّفيسَةِ التِى أَحضرَتْهَا ، وَهِىَ تحرِصُ بشدَّةٍ ألا تُخْبرَ سيِّدَتَها أَنَّ التاجرَ الشابَّ الوسيمَ « بدر باسم » رفضَ بشهامةٍ أَخْذَ ثَمَنِ مَا اختارَتْ مِنْ أَقْمِشَةٍ .

وَقَدْ فعلَتْ ذلك تجنُّبًا لغضَبِ سيِّدتِها إِذَا علمَتْ أن التاجرَ الشابَّ قَدْ عرفَ علاقتَهَا بالأميرةِ !

كانَ «شهرمان» أو « التاجرُ بدر باسم » ، قَدْ حَرَصَ منذُ اليوم الأَوَّلِ لافتتاح مَتَجرِهِ عَلى إرسَالِ أَجْملِ المُنادِينَ صوتًا ؛ ليطوفَ حَوْلَ قَصْرِ الملكِ مُنادِيًا تحتَ نوافِذِ الأميرةِ : يُهمُّنا إعجَابُكم وليسَ دنانيرُكم .. هدفُنا مِنَ التجارةِ إسعادُكم .. حريرُ شيراز مِنْ متاجرِ بدر باسم .. يجعلُ الصَّبايا حُوريَّاتٍ والوَجْهَ « باسم » !

وكانَ طبيعِيًّا أن تُرسِلَ الأميرةُ مُربِّيَتَها لتجلبَ لَهَا نماذجَ مِنْ أقمشَةِ « الحوريات » هَذِه ، بعدَ أَنْ أوصَتْهَا ألاَّ تُصرِّحَ أبدًا أَنَّ لهَا صلةً بالقصرِ المَلكِىِّ .

لكـنَّ المُربِّيَـةَ لَمْ تكُنْ تعـرفُ أَنَّ عُيونَ « بدر باسـم » حرصَتْ عَلى رَصْـدِ كُـلِّ خارجٍ مِنْ أبوابِ القَصْرِ ، فكانَ مِن السَّـهْلِ ، قبلَ وُصُولِ « ريحانة » إلى دُكَّانِهِ ، أَنْ يستعدَّ لاسْتِقبالِ مُربِّيَةِ الأَميرةِ !

وَلَـوْ كانَتِ الأَمِيرةُ قَدْ عرفَتْ أن التاجِرَ الشـابَّ قَدْ رفضَ أَخْذَ ثَمَنِ بضَاعتِهِ ، لامتنعَتْ - بحَسْمٍ - عَنْ طَلَبِ أيَّةِ أقمشَةٍ جديدَةٍ مِنْ متجرِهِ . لكـنْ لأنَّ مُربِّيَتَها أخفَـتْ عنهَا حَقيقةَ مَا حَدَثَ ، فقدْ أَرْسـلَتْها مَرَّةً أُخْرى فِـى اليَوْمِ التَّالِى لتشترِىَ لَهَا مَزِيدًا مِنَ الأقمشَـةِ الفَاخِرَةِ التى أعجَبَتْها ألوانُهَا ورسُومُهَا .

(٦)

فـى الزِّيـارةِ الثَّانيـةِ التى قامَتْ بها « ريحانة « للسـوق ، طافَ بِهَـا « بـدر باسـم » بنفسِـهِ كُلَّ رُكْـنٍ مِنْ أركَانِ مَتْجَرِهِ ، فانبهرَتْ وأصابَهـا الذُّهـولُ حَتَّى قالَتْ : « لَمْ يسـبقْ أنْ جـاءَ إلى بلادِنَا تاجرٌ يَتَحَلَّى بمِثْلِ ذوقِكَ المُتميِّزِ ، أَوْ يمتلكُ كُلَّ هَذَا الثَّراءِ العَظيم ! »

ثُـمَّ أضافَتْ وهـى تتأمَّـلُ مَلامحَ وجْهِ « بدر باسـم » فى محاولَةٍ لتستشِفَّ ما يُخفيهِ : « بَلْ إنَّ حديثَكَ يا سَيِّدى لَيْسَ حَدِيثَ تُجَّار ! ! »

دهشَ «بـدر باسـم» مِنْ هَـذِهِ المُلاحَظـةِ الذكِيَّـةِ التـى أبدَتْها «ريحانـة»، فأسْـرَعَ يقولُ: «بضاعَتى لا يشـتريهَا عادةً إلاَّ فئةٌ خاصَّةٌ مِـنَ الأمَراءِ وأصحابِ الذَّوْقِ الرفيـعِ ، ولعلَّنى لهذَا أختلفُ عَنْ غَيْرِى مِنَ التُّجَّار».

قالَـتْ « ريحانـــة » كَأَنمَا تختـبرُهُ: « واليومَ لابـدَّ أَنْ تقبلَ ثمنَ مَا اشـتريتُـهُ مِنْ مَتْجَرِكم ، وإلاَّ منعَتْنـى سيِّدتى الأميرةُ مِنْ تَخطِّى عتبـةِ بابِكُم مَرَّةً أُخْرَى » .

ابتسـمَ « بدر باسـم » وهو يقولُ فى مَرح: « أتمنَّـى لَوْ تُخبرينَها بوُضـوحٍ أنَّنِى مُصمِّمٌ على إرْسـالِ كُلِّ ما أعجَبَها مِـنْ بَضائعى، هديةً مُتواضعةً لأجْملِ الجمِيلاتِ ! »

صاحَتْ « ريحانة » فى اسْـتِنْكار : « لعلَّكَ لا تعرِفُ إذَنْ ما يعرفُهُ عَنْهَا كُلُّ النَّاسِ!! .. هى ترفُضُ أىَّ شَىْءٍ يَأْتِى مِنَ الرِّجالِ ! »

ضَحِـكَ « بـدر باسم » : « إذَنْ اقْتَرِحى عَلَيْهَا الحُضورَ بنفسِـهَا ؛ لتختارَ ما يُناسِبُها مِنْ رَوَائِع مَا اخْترتُه لكُم مِنْ أَثْواب .. ! »

وتأمَّلَـتْ « دادة ريحانة » ملامحَ وجهِهِ وهـو يقولُ هَـذَا الاقْتراحَ ، وتلاعبَتْ على وجهِها ابْتسَـامةٌ ، فقد تمنَّتْ مِنْ أعماقِ قلبهَا أَنْ يكونَ لسيِّدَتِهَا زَوْجٌ فى مِثْلِ شَبابِ « بدر باسم » وروحِهِ المَرِحَةِ ووسَامتِهِ .

(٧)

عندمَـا نقلَتْ ريحانة اقْتراحَ « بدر باسـم » إلى سـيِّدتِهَا الأَمِيرةِ ، وَكأنَّهُ اقتراحُهَا هى ؛ لتشـاهِدَ بنفسِـهَا مَا لَمْ يسبِقْ أَنْ رأتْهُ مِنْ أروع ألـوَان الحَرير ، أَدْركَتِ الأَمِيرةُ أنَّ فِـى الأمْـر شيئًا ، فسألَـتْ مُربِّيَتَهَا كأنمَا تستَجْوِبُهَا فِى تَحْقيق: « مَن الذِى أوْحَى إليكِ بهَذَا الاقْتراح؟ »

ولاحظَـتِ الأميرةُ اضْطِرابَ مُربِّيتِهَا ، فَعَـادَتْ تقولُ فِى تَأَنيبَ : « أَنَـا أعرفُ ألاعيـبَ الرِّجَالِ ، وإذَا كنْتُ قَدْ رفضْـتُ الأمَراءَ وأَبْنَاءَ المُلوكِ ، فَلَنْ أقبلَ التُّجَّارَ وبائعى الحرِيرِ ! »

دَافعَتِ المُربيةُ عَنْ نفسِهَا : « لكنَّه لاَ يعــرفُ أَنَّ سيِّدَتى هِىَ الأَمِيرةُ وليَّةُ العَهْدِ ! » .

قالَــتِ الأميـرةُ فِـى اتّهام : « لاَ يوجَدُ سِــرٌّ فى مَدينتِنَــا هَــذِه ! .. لَقَدْ عرَفْتُ منــذُ قليل أَنْ هَذَا التاجِرَ رفَضَ أخْذَ ثَمنِ مَا اشترَيْتِهِ اليَوْمَ وَأَمسِ .. هَلْ تُخْبرينننى لِمَاذَا؟! » .

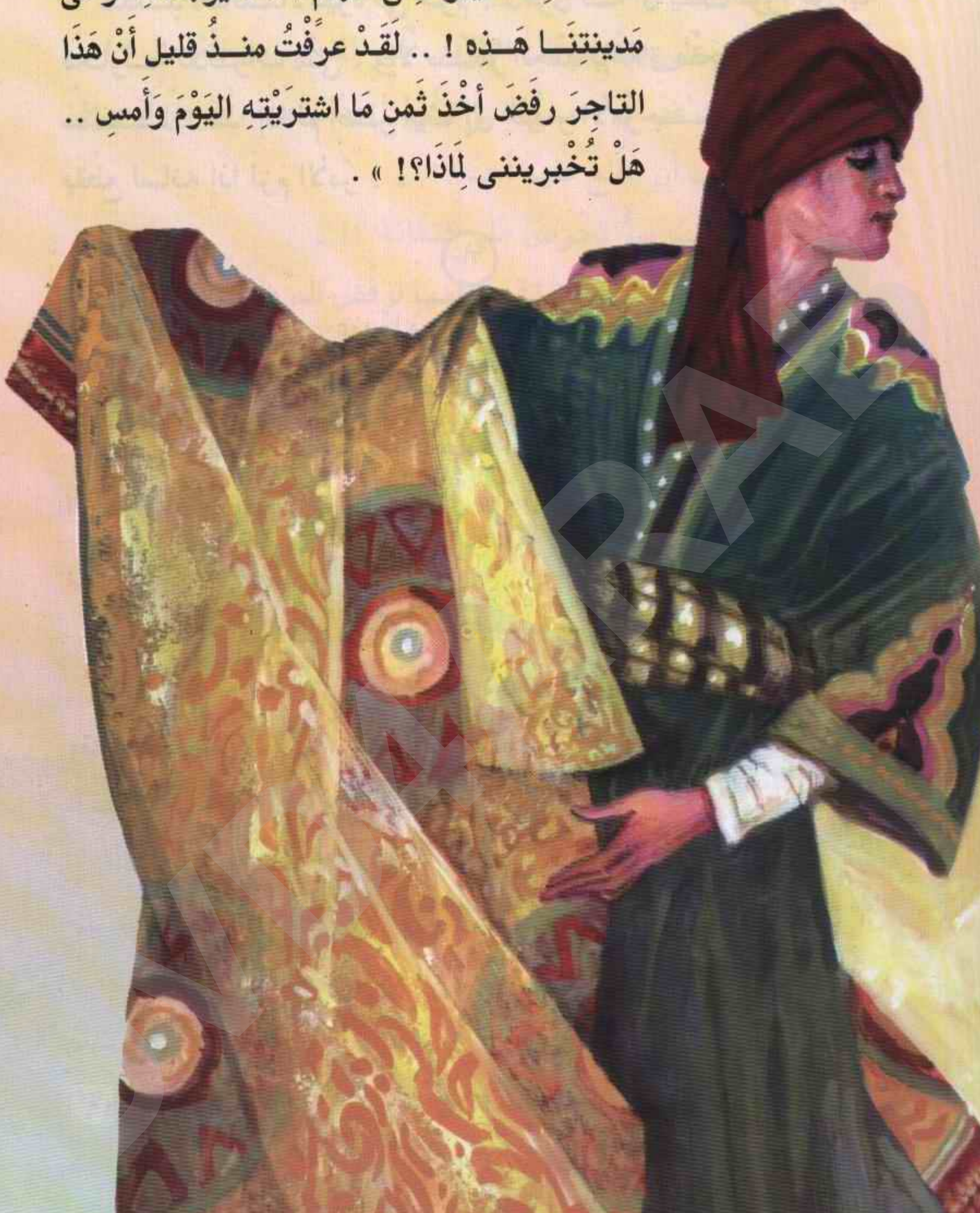

سَـكتَتِ المُربيـةُ وَقَـدْ فُوجِئَتْ بسـيِّدَتِهَا وقد انكشَـفَ الأمرُ كلُّهُ أَمَامَهَا ! .

عنَدئـذٍ أضافَتِ الأميرةُ فِى حَزْم : « قُولى لَـهُ أَنْ يكُفَّ فورًا عَنْ أيةِ محاولـةٍ للاقْتراب منّى ، وإلاَّ سـآمُرُ الجُنْدَ بإغْلاقِ مَتْجَرِهِ وطَرْدِهِ مِنْ مَمْلكتِنَـا ، هَذَا إذَا لم أضطَرُّ أيضًا إلى إصْدارِ الأمرِ بسَـجنِهِ ، أَوْ حتَّى بقَطْعِ لسانِهِ إذَا لَزِمَ الأمرُ ! » .

٨

فـى اليَـوْم التَّالى ، عندمَا ذَهبَتْ « دادة ريحانـة » إلى مَتْجَرِ « بدر باسم » ، طلبَتْ فى اضْطِرابٍ مقابلتَهُ عَلى انْفِرادٍ .

وفـى غُرفـةِ المَتْجَـر الخلفِيَّـةِ التـى خصَّصَهَا بدر باسـم لِعَقْدِ الصَّفقَاتِ ، جلسَـتْ ريحانة تقولُ فى قلقٍ : « سَـيِّدتى أسـاءَتْ فَهْمَ رسالتِكَ إلَيْها ! » .

فى جُرْأةٍ قالَ : « بل لعلَّها قد فهمَتْها علَى الوَجْهِ الصَّحيح ! » .

صاحَـتِ المُربيـةُ : « أنصحُـكَ إذّنْ أَنْ تُنهِـىَ فورًا أعمالَـكَ هُنا ، وتذهبَ بتجارتِكَ إلى مدينةٍ لا تُهدِّدُ فيها الأميراتُ بقَطْعِ لسـانِ أَفْضلِ الشَّبابِ ! » .

قالَ « بدر باسـم » فـى قلقٍ : « تصرُّفاتُ أميرتِكم فيها شَـىْءٌ غَيْرُ طبيعِـىٍّ .. هِـىَ لَمْ تَرنى ، وترفُـضُ كُلَّ مَنْ يتقدَّمونَ إليهـا بغَيْرِ أَنْ تراهُـم .. هَلْ ترفـضُ فِكْرَةَ الزَّواجِ أَصْلاً ولاَ تسـمحُ بمناقشـتِهَا فِى ذَلكَ ؟! » .

وعندما تَأمَّلَ تعبيراتِ خَيْبةِ الأَملِ التى تلاعبَتْ عَلَى وَجْهِ المُربيةِ، تَأكَّدَ مِنْ صِدْقِ اسْتنتاجَاتِهِ ، فقالَ فى عِتابٍ صادقٍ :

« كيــفَ تقبلينَ ، وأنت مُربِّيتُها المُخلِصَــةُ ، وكأنَّكِ والدتُهَا ، أن تُصمِّمَ مولاتُكِ عَلى هَذَا الموقفِ الغَريبِ غَيْرِ المَفهومِ مِنَ الرِّجالِ ؟! .

هَــلْ هُنــاكَ عَيْــبٌ خَفِــىٌّ فِــى تَكْوينِ جسْــمِهَا ، حَريقٌ أو مَرضٌ جِلْدِىٌّ ، تخافُ أن يطَّلِعَ عليهِ أحدٌ ؟! .

هَلْ فى حياتِهَا سِرٌّ تَحْرِصُ عَلَى كتمَانِهِ ؟! .

لابدَّ أَنْ يعرفَ الناسُ حَقيقةَ دوافِعِهَا لِرَفْضِ الـزَّواجِ ، وإلاَّ انتشرَتْ حولَهَا إشــاعَاتٌ تُؤذِى سُمْعتَهــا كثيرًا ، وتُؤثّرُ علــى حَقِّها فِى تولِّى الحُكم يومًا وهى الوريثَةُ الوحيدَةُ لِعَرْشِ المملكةِ ! » .

هُنا لاحَظَ « بدر باسم » دُموعًا تكادُ تترقرقُ فِى عينَىْ « ريحانــة » وَهِــىَ تقولُ :

« منذُ وقعَتْ عينى علَيْكَ ، تمنَّيْتُ أن تكونَ أنتَ زَوْجَ الأميرةِ التى اعتبرْتُها – دائمًــا – مِثْــلَ ابنَتِــى ، لذلــك دَعْنى أكشفُ لكَ السِّرَّ الَّذى حَرَصَتْ عليه « حَياةُ النُّفــوسِ » طَوِيــلاً ، لعلَّنا نَسْــتطيعُ معًا مُســاعدتَها للتغلُّبِ علَى هَذَا السُّلــوكِ غَيْــرِ الطَّبِيعِــىِّ الــذى تتمسَّكُ به ضِدَّ الرِّجالِ ! » .

٩

لَمْ يكُنْ مِنَ السَّـــهلِ علَى « دادة ريحانة » البَدْءُ فى حكايَتِهَا بعدَ أَنْ كتمَتْها سَنواتٍ ، تنفيذًا لوصِيَّةِ سَيِّدَتِها « الأميرةِ حياةِ النُّفوسِ » .

لقــد شــدَّدَتْ عليها الأميرةُ أَنْ تنسَــى الأمرَ كُلَّــهُ ، فالأحلامُ التى تعتبرُهَــا هى رُؤْيَا تحمِلُ إليهَا نُبوءَةً أو رســالَةَ تَحْذِيرٍ واضِحَةً ،

يتصوَّرُهَـا آخَرونَ مُجرَّدَ أَلاَعيب أرْواحٍ عَابثـِة لا هدفَ لها إلاَّ إقلاقُ راحةِ النَّائِم !! .

لكنَّ ريحانة وَقَدْ وجدَتِ الأمرَ قَدْ تَفاقَمَ مَعَ سـِّيدَتِها وازدادَ تَساؤلُ النَّاسِ حولَهُ ، أخذَتْ تبحثُ عَنْ كَلِماتٍ تُزيحُ بها السِّـرَّ ، وتبدأُ بِهَا الحِكاية ..

وفى شَـغَفٍ ودَهشـةٍ ، اسـتمعَ « التاجرُ بدر باسـم » أو « الأمير شهرمان » إلى أَعْجَب مَا سَمِعَ فى حَياتِهِ ..

(١٠)

كانَتِ المَلِكةُ « فخر الزمان » وَالدةُ « حياة النفوس » لا تُحِبُّ شـيئًا فى الدنيَا مِثْلَ حُبِّها لِلطَّبيعةِ فى أشكالها المُختلفةِ .

لقد أصرَّتْ – رَحِمَها اللهُ – أَنْ تُطِلَّ كُلُّ غُرَفِ أجنِحَةِ القَصْرِ المُخصَّصةِ لَهَا علَى مسـاحَاتٍ مُمتدَّةٍ من الأشـجارِ، فلا تـرَى إلا اللَّوْنَ الأخْضَرَ بدَرَجاتـِهِ المُختلفـةِ ، يهتزُّ مَعَ النَّسـيمِ أَوْ يتمايَلُ مَعَ العاصفَـةِ ، أو تراقِبُ أسْرابَ الطُّيورِ يقودُها أقْوَى الذُّكور كأنه رأسُ سَهْم .

ودفَعها حُبُّها للطَّبيعةِ إلى اخْتِيار بقعةٍ سـاحِرَةٍ كأنَّها جَنَّةُ اللهِ فى أرْضِهِ ، أقامَتْ فى وسطِهَا قَصْرًا مِنْ قُصور الأحْلام ، تَقْضِى فيه أوقاتَها عندمَا يَنْشَغِلُ زَوْجُها « المَلِكُ شهابُ الدِّينِ » بالسَّفرِ ، أو بقيادةِ الجَيْشِ لِصَدِّ عُدوانٍ ، أو مُعاوَنَةِ بلدٍ مُجاورٍ فِى إِحْدى تِلْكَ الحُروبِ الَّتِى مَا إنْ تنتهِ حَتَّى تَبْدأَ مِنْ جَديدٍ !! .

وكانَـتِ المَلِكـةُ حَريصةً عَلَـى اصْطِحَـابِ ابنتِهَا الأمـيرةِ « حياةِ النُّفوسِ »، فاكتسـبَتِ الأميرةُ بدَوْرهَا الافْتِتانَ بِالطَّبيعةِ ، وتشـَّبعَتْ مِنْ والدتِهَا بحُبِّ الحدائقِ واللَّوْنِ الأخْضَرِ .

وكانَ لهـذَا أَقْوَى الآثـارِ فى خَيـالِ « الأميرَةِ حَيـاةِ النُّفوسِ » وحياتِهـا ، حَتَّى إنَّهَـا ، بعدَ انْتِقالِ والدتِهـا إلى الرَّفيقِ الأعْلَى ، حرصَـتْ بدَوْرهـا علَـى قَضـاءِ كَثيـرٍ مِنْ ليـالِى الصَّيْفِ فى قَصْرِ الأحْلام وبَيْنَ أشْـجار حديقَتِهِ المُدهِشَـةِ ، الَّتِى كانَتْ آخرَ ما رأتْهُ والدتُهاَ قَبْلَ رَحيلِهَا .

(١١)

ذاتَ ليلَـةٍ وقـد اسْـتَوْلَى النَّـوْمُ العَميـقُ علَـى الأَمِـيرةِ فـى ذلـكَ القَصْـرِ الرَّائـعِ ، وجدَتْ نفسَـها قَدْ نزلَتْ إلى الحَديقَةِ تتجوَّلُ فيهَا .

وَكَـمْ كانَتْ دهشـتُها عندما رَأَتْ فِى أَحَـدِ الأركانِ صيَّادًا قَـد نشـرَ فـوْقَ الحشـائشِ شـبكةً لِصَيْـدِ الطُّيور ، نثرَ فوقَهـا حُبـوبَ القَمْحِ ثم أخْفَـى نفسَـهُ خلـفَ

شـجـرةٍ حَيـــثُ جلسَ يُغالِبُ النُّعاسَ انتظـارًا لِلصَّيْدِ ، لكنَّ النَّوْمَ غلبَهُ قبلَ أَنْ تُغرِىَ حُبوبُ الشبكة طُيورَ السَّماءِ .

ولَمْ يطُـلِ انْتِظارُ الأميرةِ ، فَقَدْ أقبل طائرٌ فى حَجْمِ الحَمامِ، فَخورٌ بذَيْلِهِ الأحمرِ الطَّويلِ والرِّيشةِ الخَضْراءِ اللاَّمِعَةِ فَوْقَ رأسِهِ .. وسَرْعانَ مَا نَزلَ مع أنثاهُ الوديعَةِ الجَميلَةِ ، لكنَّها مِثْلُ بقِيَّةِ الإناثِ مِنْ نَوْعِهَا بغَيْرِ ذَيْلٍ أحمرَ ولا ريشـةٍ خَضْراءَ ، وتبعَتْهُما جماعةٌ مِنْ نَفْسِ النَّوْعِ قادمةٌ خلفَ قائِدِهَا صَاحبِ الرِّيشةِ اللاَّمعـةِ ، واندفعَتْ كُلُّهـا تلتقِطُ الحُبوبَ فى نشاطٍ .

ومـا هِىَ إلا لحظاتٌ حَتَّى اشـتبكَتْ قَـدَمُ الذَّكرِ القائـدِ فى خُيوطِ الشَّـبكةِ ، فَانْتَفَضَ يتخبَّطُ فِى عُنْفٍ أفْزَعَ بقِيَّةَ الطُّيور ومعَهَا أُنثاه ، فانطلقَتْ تَطيرُ مُبتعِدَةً فى سُرْعَةٍ واضْطِراب .

لكـنَّ دهشـةَ الأَميرةِ ازدادَتْ عندمَا رأَتِ الأُنْثَى تعودُ وَحْدَها بعدَ لَحَظاتٍ ، ونزلَتْ حتَّى اسـتقرَّتْ بجوار خُيوطِ الشَّبكَةِ ، لا تخافُ أن تسقطَ – هى أيضًا – فى الفَخِّ ! !

وَفِى جُرأَةٍ تقدَّمَتْ تنقُرُ الخُيوطَ الَّتِى اشتبكَتْ بِهَا قَدَمُ زَوْجِهَا إلى أَنْ قَرضَتْهَا .. وبفَضْـلِ حُبِّهـا وصَبْرها وشـجاعتِهـا ، اسْتَطـاعَ القائـدُ صاحِـبُ الريشـةِ اللامعةِ أن يتخلَّصَ مـن مَصيرٍ مُفْـزِعٍ ، وأن ينطلقَ إلـى الفَضاءِ مع أنثاهُ المُخلِصَةِ ، سَعيدًا بحُرِّيتِهِ .

١٢

عندَمـا أفـاقَ الصَّيَّـادُ مِنْ نَوْمِهِ ، ولَمْ يجِدْ فى الفَخِّ صَيْدًا ، حَرَصَ عَلَى إعادَةِ إخْفاءِ شَـبَكتِهِ جيدًا بكَثيرٍ مِنْ أوراقِ الأشْـجَارِ المُتسـاقطةِ ، قبلَ أَنْ ينثُـرَ فوقَها مَزيدًا مِـنَ الحُبوبِ ، ثُمَّ عـادَ يختبئُ حيثُ غلبَـهُ النَّوْمُ للمرَّةِ الثَّانيةِ .

وعندما لَمْ تُشـاهِدِ الطُّيورُ خُيوطَ الشـبكةِ ، انخدعَتْ بحيلةِ الصيَّـادِ وظنَّتْهُ انصرفَ مَعَ أدواتِ صَيْدِهِ ، فنزلَتْ مُطمئِنَّةً تُعاودُ الْتِقَاطَ طعامِهَا .. لكنَّ أُنْثَى القائدِ هى الَّتِى سَـرْعَانَ مَا وقعَتْ هَـذِهِ المرَّةَ فِى الفَـخِّ ، فراحَتْ تتخبَّطُ فى جُنونٍ وَقَـدِ التفَّتِ الخُيوطُ فِى إحْكام حَوْلَ سَـاقِهَا.. وأفزعَـتِ المُفاجَأةُ بقِيَّةَ الطُّيور، فَأَسـرعَتْ تبتعِدُ تشـقُّ السَّـماءَ بأجنحتِهَا فِى قُوَّةٍ ، يقودُها القائدُ الفَخورُ الَّذِى كانَتْ أُنثاهُ قَدْ خلَّصَتْهُ منذُ قَليلٍ مِنْ مَصيرٍ مُظلِمٍ بعدَ وُقُوعِهِ فى نَفْسِ الفَخِّ .

وانقضَـى وَقْتٌ طَويلٌ والأميرةُ «حيـاةُ النُّفوسِ» تُراقِبُ الطائرَ الأُنثَى تُحاولُ جاهِـدَةً التخلُّصَ من الشَّـبَكَـةِ ، فلا تزيدُها مُحاولاتُها إلاَّ إرْهاقًا ، إلى أَنْ كفَّتْ فى النّهايَةِ عَنْ محاولَةِ الخَلاصِ ! ...

وتوقَّعَـتِ الأمـيرةُ عَوْدَةَ القائِدِ قبـلَ أَنْ يصحُوَ الصيَّـادُ لِيُنقِذَ أُنثاهُ كَمَـا أَنقذَتْهُ ، لكـنَّ الوقتَ الطَّويلَ انْقضَى حَتَّى أفاقَ الصيَّادُ مِنْ نَوْمِهِ ، وأسرعَ نَحْوَ الصَّيْدِ الَّذِى وقعَ فى شبكَتِهِ ، فأمسكَ بالأنْثَى وقَدْ أعدَّ لَهَا سِكِّينَهُ الحَادَّة ، وَذبحَهَا !! ..

أَصـابَ الرُّعْـبُ الأَمِيرةَ وتملَّكَهَا الفزَعُ ، فأفاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا مَرعُوبَةً وهـى تُحـدِّثُ نفسَهـا وتصرخُ والدُّموعُ تملأ عينَيْها :

« الآنَ عرفْـتُ طريقةَ الرِّجـالِ فى التعامُلِ مَعَ النِّسَـاءِ !! .. هَذِه رُؤيا تحملُ رسالةً يَجبُ أَنْ أتذكَّرَها دائمًا ... المرأةُ تُعَرِّضُ حياتَهَا للهَلاكِ بدافعِ الحُـبِّ والإخْلاصِ لِتُنْقِذَ رَجُلَها مِنَ المَخاطِرِ وللمحَافظةِ عليهِ مِنَ الهَلاكِ ، فَـإِذَا تعرَّضَتْ هى بعدَ ذلكَ إلى مَأْزِقٍ أوْ خَطَـرٍ ، ينجُو الرجلُ بحَياتِهِ وقَدْ تناسَى كُلَّ شَيْءٍ عنهَا ، وضاعَ كُلُّ مَا فعلَتْهُ معَهُ مِنْ مَعْروفٍ !! »

وفـى تأكيدٍ أَضَافَتْ : « مَخْدوعة وسَـاذجَة مَنْ تَثِقُ فى الرِّجالِ بَعْدَ اليَوْمِ ! »

وختمَـتْ « دادة ريحانـة » حكايتَهَـا لشـهرمان المُتخفِّى والدُّموعُ تَنْحَدِرُ مِنْ عينَيْهَا :

« مُنـذُ ذلكَ اليَوْم لا تُطيقُ الأميرةُ أَنْ تسـمعَ حديثًـا عَنِ الرِّجالِ ، كَمَا امتنعَتْ عَنِ الذَّهابِ إلى ذلكَ البُستانِ إلاَّ مَرَّةً واحدةً كُلَّ عامٍ فى يَوْمِ

ذِكْرى وفاةِ والدتِهَـا ، فهوَ مَكانٌ أصبَحَ يُذكِّرُهَا دائمًا بالطَّائِرِ المَذْبوحِ ، كَمَـا ارْتبـطَ بإلحاحِ مَعَ مَا اسـتقرَّ فـى اعتقادِهَا مِنْ جُحُـودِ الرِّجالِ وقَسْوتِهم عَلى النِّساءِ !! » .

ظَلَّ « شهرمان » يَستعيدُ مَا رسمَهُ حَديثُ ريحانة أمامَ عينَيْهِ مُتصَوِّرٌ فِيهَـا التَّرقُّبُ وفيهَا اليأسُ ، وهُوَ يسـتحْضِرُ فِـى خَيَالِهِ مَوَاقفَ ذلكَ الحُلْمِ الغَريبِ الذِى انتهَى بِتِلْكَ النهايةَ التَّعيسَةَ القاسِيَةَ !

ولاَحَـظَ « الوزيـر زيـدان » كيف سَـيْطَرَ القلقُ والهَمُّ علـى مَلامِحِ شهرمان ، فاضطُرَّ أخيرًا أن يسألَهُ :

« ماذَا فَعَلَتْ بكَ تلكَ العَجوزُ ريحانةُ ؟ » .

وتَردَّدَ شـهرمان ، فقد أوصَتْهُ ريحانة بكِتْمانِ سِـرِّ سيِّدَتِها ، لَكِنَّ الوَزيرَ عادَ يُلِحُّ :

« هَل اسـتمعْتَ إلى شَـيْءٍ يَضَعُ حاجزًا بينَكَ وبينَ الأَميرةِ ؟ .. هَلْ سـبقَ لها الزواجُ سِـرًّا أَوْ أُصيبَتْ بصَدْمـةٍ لا عِلاجَ لَهَا فِـى علاَقتِهَا بالرِّجَالِ ؟! » .

هَزَّ الأميرُ رأسَهُ بعُنْفٍ يُنْفِى كُلَّ ذلكَ :

« لا .. لا ... » .

وصمتَ لحظةً ثُمَّ أضافَ ليُزيحَ عَنْ نفسِهِ عِبْءَ مَا عرفَ :

« لقد رأتْ حُلمًا ! » .

صاحَ الوزيرُ مُستخِفًّا بالأمرِ :

« ومنـــذُ مَتَى كانَتْ أحلامُ النَّوْمِ سببًا فِى تَوقُّفِ دَورانِ عجلـةِ الحَياةِ الَّتِى لا تقبلُ التوقُّفَ ؟! »

صاحَ الأميرُ :

« تَذكَّـرْ أَنَّهـا خَبِـيرةٌ بالأحْـلام .. أحـلامُ النَّـوْم لَهَـا ، تأثيرٌ عظيمٌ عليهَا ! »

قالَ الوزيرُ الحَكيمُ فى إصْرار : « لابدَّ إذَنْ أَنْ تكشفَ لِى عَنْ تفاصيلِ حُلْمِهَا هَذَا، لعلَّها أَخْطأتْ فِى التَّفْسيرِ ! »

زفرَ الأميرُ فـى ضيقٍ كأنّمَا الأمرُ مَفـروغٌ منـه : « التفسـيرُ واضِـحٌ لا يحتاجُ إلى عِلم أو خَيَالٍ ! »

اعترضَ الوزيـرُ : « بَلْ كثيـرًا ما تُفَسَّـرُ الأحـلامُ بعَكْسِ مـا نَرَاهُ فيها ! »

سـكتَ الأميرُ لحظَةً .. لَقَدْ تذكَّرَ أنَّهُ سَمِعَ تلكَ العبـارةَ ذاتَ مرَّةٍ من والدِهِ المَلِكِ!..

ثُمَّ عَادَ يَسْتعيدُ فِى ذِهنِهِ المواقفَ الأخيرةَ مِـنْ حُلْمِ الأميرةِ ، وبعدَها اسـتقرَّ رأيُهُ عَلَـى أَنَّ الأمـرَ ليسَ بالبَساطةِ الَّتِى تَصوَّرَهَا..

قَالَ لنفسِـــهِ : « مِنَ الأفضَلِ اشتراكُ الوَزيرِ مَعِى فِى كَشْفِ سِرِّ حُلْمِ الأَميرةِ العجِيبِ ! » .

(١٦)

اقترحَ الوزيرُ :

« لابُدَّ مِنْ مُقابلةِ دادة ريحانة مرَّةً أُخْرى .. »

واســتطَاعَ الأميرُ إقْناعَ ريحانــة أَنْ تأتِىَ إلى لِقاءٍ جَديدٍ ، يشــتركُ فيــهِ « الوزيــرُ الحَكيمُ زيــدان » المُتخفِّــى تَحْتَ اسْــمِ « الوكيل نجم الكاشف » .

سألَ الوزيرُ « ريحانة » :

« ذكَــرْتِ أن حديقَــةَ قصرِ الأحْلام كانَــتْ آخِرَ مـا رأتْــهُ « المَلِكةُ فخــرُ الزَّمانِ » قبــلَ رَحيلِها .. هـل أفهمُ أنهـا فارقَتِ الحياةَ فى ذلك القَصْرِ ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ وهى لا تستطيعُ أَنْ تفهمَ سببًا لإلْقاءِ ذلك السُّؤالِ :

« أظنُّ أنَّنِى أخبرْتُكُم بذلك ! .. أَمْ فَاتَ علىَّ أنْ أذْكرَهُ لسـيِّدِى بدر باسم ؟! » .

عادَ الوزيرُ يسألُها :

« لكِنَّنــى عرفْــتُ أَنَّ الملكةَ لَمْ تكُنْ تـذهَبُ إلى ذلــك القَصْر إلاَّ أثناءَ غيــابِ زَوْجِها المَلِكِ شــهاب الدين عَنْ مملكتِهِ .. هــل معنَى هَذَا أنَّها غادرَتِ الدُّنيا وزوجُهَا غائِبٌ عنها ؟ » .

بدأتْ ريحانة تشعرُ بالقَلقِ مِنْ تلكَ الأسئلةِ ، فأجابَتْ فِى ضِيقٍ :

« اضطرَّ سـيِّدى الملكُ أَنْ يترك مليكتَهُ أثناءَ مَرْضِهَا الأَخيرِ ، ليتولَّى بنفسِهِ قيادةَ الجَيْشِ .. » .

عادَ الوزيرُ يسألُها :

« وهل كانَ يتركُ قيادةَ الجَيْشِ فى بَعْضِ الأحْيانِ لقائدِ جيوشِهِ ؟ » .

قالَتْ ريحانة فى احْتِدادٍ : « ما علاقةُ كُلِّ هذا بحُلم الأميرةِ ؟!! » .

وَفِى هُدوءٍ قالَ الوزيرُ :

« إذَا كانَ فِى الإجَابةِ سِرٌّ ، فَفِى إمكانِكِ أَنْ تُحافظِى عَلَيْهِ ! » .

قالَتْ ريحانة وقَدْ فرغَ صبرُهَا ، وَتُريدُ إنهاءَ الحديثِ :

« بَلْ هِىَ أُمورٌ يعرفُها كُلُّ أفرادِ الشَّعْبِ ، فقَدْ هَاجمَنَا أعداءٌ أَقْوياءُ ، وتَزايَدَ إحساسُ النَّاسِ بمَدَى الخَطرِ الَّذِى تتعرَّضُ لَهُ البلادُ ، فَلَمْ يَشَأْ مولاى الملكُ تَرْكَ قيادةِ الجيش لِغَيْرِهِ » .

وفى هُدوءٍ وصَبْرٍ عادَ الوزيرُ يسألُهَا :

« لكنْ هناكَ أَشْيَاءُ لمْ يعرفْهَا إلاَّ أهلُ القَصْرِ أنفسُهم ؟! » .

سألَتْهُ ريحانة – فى احْتِدادٍ – وقَدْ تَزايَدَ ضيقُهَا : « مَاذَا تقصِدُ ؟! هَلْ تُريدُ أَنْ أكشفَ لكُمْ مزيدًا مِنْ أسْرارِ سَادَتى ؟ » .

سألَ الوَزيرُ فى بُطْءٍ وهو يؤكِّدُ على كُلِّ كلمةٍ من كلماتِهِ :

« بالرَّغْـم مِنْ كُلِّ ذلكَ الخَطرِ الَّذِى أَحَاطَ بالبلادِ ، هَلْ طلبَتِ المَلِكةُ المَريضَةُ من زَوْجِها المَلِكِ أَنْ يبقَى إلى جوارِهَا ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ فى حَماسٍ كأنما تُدافعُ عَنْ ذِكْرى مَوْلاتِها :

« هى مُجرَّدُ جُملةٍ عابـرةٍ قالَتْها ذاتَ ليلةٍ عندما اشتدَّتْ عليْهَا آلامُ المرضِ... » .

ثم توقَّفَتْ فجأةً عَنْ حديثِهَا وقالَتْ مُستدركَةً :

« لاَ أعتقدُ أنها قصدَتْ مَنْعَ مَولاىَ مِنْ أداءِ واجبهِ ! » .

ثُـمَّ تمهَّلَتْ وهـى تُضيفُ ببُطْءٍ ، وقد تذكَّرَتْ أشـياءَ حاولَتْ دائمًا نِسْيَانَهَا : « لكنَّ الأميرةَ حياةَ النُّفوسِ سألَتْنى بَعْدَها فى جزعٍ شَديدٍ : كيفَ هَانَ علَى والدى تَرْكُ والدتى تُنازعُ المَوْتَ وهو غائِبٌ عنها ، بعدَ أنْ طلبَتْ منه البقاءَ إلى جوارها ؟!! » .

وأضافَتْ ريحانة : « لقد حاولْتُ كثيرًا أَنْ أشـرحَ للأميرةِ مُتطلّباتِ الواجبِ وَضُغُوطَهُ ... » .

ثُـمَّ أضافَتْ فِى أَسـى : « وَلاَ أعتقِدُ أَنَّهَا اقتنعَـتْ كثيرًا بما قُلْتُ ، لكنَّهَـا توقَّفَت فجـأةً عَنِ الحديثِ مَعِى حـولَ هذَا المَوْضُوعِ ، وكَتَمَت خواطِرَهَا عَنْ كُلِّ المُحِيطِينَ بها .. ! » .

سألَها الوزيرُ : « كَمْ كانَ عُمرُها عندَما رحلَتْ والدتُهَا ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ وقد عاودَتْها أحزانُ وفاةِ سيِّدَتِهَا المَلِكَةِ :

« كانَتْ فِى حوالى الخَامِسةَ عَشْرةَ مِنْ عُمْرِهَا ! » .

همسَ الوزيرُ لنفسِـهِ بغَيْرِ أَنْ يُصرِّحَ لأحدٍ بهواجسِهِ : « إنَّهَا السِّنُّ الَّتِى تطْغَى فِيهِ العواطِفُ عَلى تقدِيرِ المَسْئُولياتِ والواجِبَاتِ ! » .

تزايَدَتْ دهشةُ شهرمان عندمَا وجَدَ وزيرَهُ زيدان يطلُبُ مِنْ ريحانة أَنْ تُدبِّرَ له زيارةً لقصْرِ الأَحْلامِ وحَدِيقتِهِ .

وعندمـَا عَادَ الوزيرُ مِنَ الزيَارةِ ، سَمِعَ منه شهرمان كيفَ صدمَهُ مَا اكتشفَهُ مِنْ تسلُّلِ الإهْمَالِ إلى القصْرِ وحَدِيقتِهِ ..

قالَ الوزيرُ لأميرهِ : « يُحيطُ بحدائِقِ ذلكَ القَصْر جدارٌ مُرتفعٌ ، هو أكثرُ الأجزاءِ تأثرًا بالرطُوبةِ والإهمَالِ .

وقَدْ صادقْتُ المُشرفَ عَلَى القَصْر ، فعرفْــتُ أَنَّهُمْ لا يتذكَّرونَ القصرَ والحديقــةَ إلاَّ قبــلَ مَوْعِدِ زيَــارةِ الأَمِيرةِ فِى ذِكْرى وفــاةِ والدتِهَا ،

لكِنَّنى اتَّفقْتُ معه عَلى البَدْءِ مُبكِّرًا هَذا العَامَ فى الإعْدادِ لتلكَ الزيارةِ » .

سألَ الأميرُ وهو يُحاولُ اكْتِشافَ السرِّ وَراءَ تصرُّفاتِ وزيرِهِ ومُستشارِهِ : « هَلْ تقصدُ أَنْ تُطيلَ الأميرةُ زيارتَهَا للقصْرِ لَعَلَّهَا تَأنسُ بِهِ ؟ » .

قَالَ الوزيرُ وعيناهُ تلتمِعَانِ بالحَيويَّةِ والذَّكاءِ : «بَلْ لِى هَدفٌ أقْوَى

أثرًا مِنْ هَـذَا .. إنَّنى أَبحثُ عَنْ أكبرِ فنَّانٍ مُصوِّرٍ ليُزيِّنَ بِلَوْحاتِهِ الَّتِى يرسمُهَـا جُدرانَ سُـورِ الحَديقَةِ بعـدَ ترميمِهَا ، لِكَىْ يُبْـدِعَ فنُّهُ مَعَ نباتَـاتِ الحَدِيقةِ وزهُورِهَا ، تكاملاً يؤكِّدُ مَا يتناقلُهُ الناسُ عَنْ جَمالِ قَصْرِ الأحلامِ وَحَديقتِهِ » .

تَعجَّبَ شهرمان منْ طريقةِ الوَزيرِ فى التفكيرِ ، فَهَمَسَ لنفسِهِ :

« مَا علاقةُ تَرْميمِ سُـورِ القَصرِ ، بالفنَّانِ الرسَّامِ ؟! .. هل يُمْكِنُ أَنْ يُقدِّمَ أىُّ فنَّانٍ مَا يفوقُ فِى جمالِهِ إبداعَ الطبيعةِ وروعتَها ؟! » .

لكنَّـهُ رأَى أَنْ يـترك الوزيرَ يُنفِّذُ خُطَّتَـهُ ، إلى أَنْ يتوصَّلَ هو إلى شَـىْءٍ يَستطيـعُ بـه مُوَاجَهةَ تلكَ الأسـرارِ العَجيبةِ الَّتِى سَمِعَها مِنَ ريحانة وَصيفَةِ حياةِ النُّفوسِ .

فِى يَـوْمِ ذِكْرى وَفاةِ والِدَةِ الأَمـيرةِ ، وهُوَ يَوْمُ الزيارةِ السَّـنويَّـةِ الَّتِـى اعتادَتْ أَنْ تقومَ بِهَا الأَميرةُ لقَصْـرِ الأَحْلام ، فوجئَتْ قبلَ أَنْ تدخُلَ بالحَوائِطِ الخارجِيَّةِ لِلسُّـور الَّذِى يُحيطُ بحَدائقِ القَصْرِ وقَدْ تمَّ تجدِيدُهَا عَلَى نَحْوٍ كامِلٍ .

سـألَتِ الأميرةُ مُربِّيَتَها فى دهشـةٍ : « لأولِ مـرَّةٍ أجِدُهم يَهتمُّونَ بسُورِ الحَدِيقةِ كُلَّ هَذَا الاهتمَام ! » .

قالَتِ المُربيةُ ريحانة : « فِى هَذَا العامِ لاحظْتُ أَنَّهُم يسـتعِدُّونَ منذُ شُهور لزيارتِكِ السنويَّةِ هَذِهِ يا مولاتى » .

ودخلَتِ الأميرةُ الحَديقةَ ...

كانَتْ تعتزمُ التوجُّهَ مُباشرَةً لدُخولِ مَبْنَى القَصْرِ ، عندمَا اسْتوقفَهَا شَيْءٌ ، فصاحت : « انْظُرِى يا ريحانة !.. ما أجملَ هذِه الرسومَ التِى أراهَا عَلَى حوائِطِ السور » .

وتظاهــرَتْ ريحانة أنهَــا فوجِئَتْ مِثْــلَ ســيِّدَتِها ، فَصَاحَتْ هى الأخْرَى :

« بــل هى لَوْحاتٌ تُثــيرُ العَجَبَ أيضًا يا مولاتى ! .. تُذكِّرُنى بذلك الحُلْمِ الغَريبِ الذى رأيْتِهِ يَوْمًا فى منامِكِ !! » .

ونَسِــيَتِ الأميــرةُ اعتزامَهــا التوجُّهَ إلى مَبْنَــى القَصْرِ ، ووقفتْ تتأمَّلُ فِى دهشــةٍ اللَّوْحــاتِ فائقــةَ التعبيرِ الَّتِى كانَتْ تتوالَى واحدةً بجوارِ الأخْرَى علَى جِدارِ السُّورِ...

قالَتِ الأميرةُ وقد ازدادَتْ دهشتُها : « تأمَّلِى مَعِى يا ريحانة .. هَذَا صيَّادٌ ينصبُ شبكتَــهُ لتكونَ فخًّا للطُّيور !! » .

وفى حماسٍ أضافَتْ ريحانة :

« وهذا هُوَ الطائرُ الذكرُ بنَفْسِ ريشَتِهِ الخَضْراءِ اللاَّمعةِ فَوْقَ رأسِهِ وذيلِهِ الأحْمرِ الطَّويلِ قَدْ وقعَ فِى الفَخِّ ، بينَمَا طارَتْ بقِيَّةُ الطُّيورِ خائفةً !! » .

صاحَتِ الأميرةُ وهى تُشــيُر إلى اللَّوحَــةِ الثَّالثةِ : « وها هِىَ الأنْثَى تنقُرُ حِبالَ الشَّبكةِ لتُخلِّصَ زَوْجَها بينمَا الصيَّادُ نائمٌ ! » .

ثمَّ سارَتْ خُطوةً أُخْرى وهى تصيحُ بالوَصيفَةِ فى انْفِعالٍ بالغ :

« هذا شَــىْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ !!.. إنَّهُ حُلْمِى قَدْ نقلَتْهُ يدُ رسَّام مُبدِعٍ إلى جُدرانِ حَدِيقةِ قَصْرِنَا ... تأمَّلِى الصيَّادَ قَدِ استيقَظَ وعَادَ ينصَبُ شبَكَتَهُ مرَّةً أُخْرَى يا ريحانة! » .

ثمّ أكملَتْ فى حُزنٍ وكآبةٍ :

« وها هِىَ الأنْثَى تقعُ فى الفَخِّ ، والذَّكَرُ يَطيرُ مُبتعِدًا عنها مع بقِيَّةِ الطُّيور ، وينساها ! » .

هتفَتْ ريحانة فى أَسَى : « لَيْتَهُ النسيانُ يا مولاتى ! ... هنا يا سَيِّدتى شَىْءٌ غابَ عَنْ عينَيْكِ ! ! » .

وأمامَ اللوحَةِ الأخيرةِ ، وقفَتِ الأميرةُ صَامتةً مَذْهولَةً وقَدْ أصابَتْها الحيرةُ بصَدمَةٍ بالغةٍ .. كانَ هناك نسْر جارحٌ قَدِ انقضَّ على سِرْب الطُّيورِ الهاربةِ ، وأمسَك الذَّكرَ الفَخورَ بيْنَ مَخَالبهِ ، وراحَ يُمزِّقُهُ بمنقارِهِ الحادِّ ! ! ...

واخْتنَقَ صَوْتُ ريحانةِ بالدُّموعِ وهى تقولُ مِنْ بَيْنِ تنهُّداتِهَا :

« يا لَلْمِسكينِ ! .. قتلَهُ المُعتدِى فمنعَهُ إلى الأبدِ مِنَ العَوْدَةِ لإنقاذِ أنثاه ، فذبحَهَا الصيَّادُ ! » .

تحَشْرَجَ صَوْتُ الأميرةِ باللَّوْعَةِ والأسَى :

«هَذِه نِهايَةٌ غابَتْ عَنْ حُلْمِى .. » .

قالَتِ الوصيفةُ مُواسِيَةً : « أفزعَكِ منظَرُ الصيَّادِ وهو يقتلُ الأنثى ، فاسْتيقظْتِ وقَدْ أصابَكِ الرُّعْبُ قبلَ أنْ يكتملَ حُلْمُكِ ! ! » .

ثُمَّ أضافَتْ كأنَّما هو خاطِرٌ جاءَها فى تلك اللَّحظَةِ :

« أو لعلَّ الفنَّانَ الرَّسَّامَ قَدْ حلَم نَفْسَ الحُلم ، ولَمْ يفزعْ كمَا فزِعْتِ يا مولاتى ، فرأى الحُلْمَ حَتَّى نهايتِهِ ... » .

ثم تمهَّلَتْ قبلَ أنْ تَقولَ فىِ تأكيدٍ :

« لقد وصلَتْهُ الرسالةُ كاملةً يا سيِّدتى ! ! » .

(١٩)

كانَ المرحُ يسودُ هذه المرَّةَ الاجتمَاعَ الَّذِى تَمَّ عَقْدُه فى غرفَةِ الصَّفقاتِ بمَتْجَرِ شهرمان .

جلسَ « الأمير التاجر » يَسْتمِعُ فى شَغَفٍ هو « والوزيرُ الحكيمُ زيدان » إلى دادة ريحانـــة ، تنقلُ إليهمَا كيفَ وقفَتِ الأميرةُ « حياةُ النُّفوسِ » لا تتحـــرَّكُ أمامَ آخر لوحةٍ علَى حائِطِ البُسْـــتانِ ، وَقَدِ اسْـــتغرقَتْ فى تَفْكير عميق والدُّموعُ تترقْرقُ فـــى عينَيْها ، وَهِىَ تتأمَّلُ ذلكَ النسـَـر المُتوحِّـــش يُمـــزِّقُ قائدَ الطُّيورِ بعدَ أنْ نزعَ تاجَـــهُ الأخضرَ ولوَّثَ ذَيْلَهُ الأحمرَ الزَّاهِىَ بدِمائِهِ الداكنةِ .

قالَ الوزيرُ الحكيمُ :

« ليسَـــتْ هَذِه إلاَّ الخطوةَ الأُولى ، فمعَ ثِقَتِى أنهَا اقتنعَتْ بعَقْلِهَا كيـــفَ تَجنَّتْ كثيرًا علـــى الرِّجالِ فى فَهْم مَعْنَـــى حُلْمِهَا ، فليسَ مِنَ السَّهْلِ أنْ تتغيَّرَ مَشَاعرُها نَحْوَهم بنفْسِ السُّرْعةِ » .

صَاحَ الأميرُ فِي انْدِفاع :

« يكْفِى أنَّهَا أدْركَتْ أخيرًا عَدمَ ســلامَةِ تفســيرهَا فانفتحَ السَّبيلُ أَمَامِى لأتقدَّمَ لِخِطبتِهَا ... لكنْ كيفَ أنقلُ إليها نَبْضَ مشَاعرِى وَحقيقةَ شَخْصِيَّتى ؟! » ..

ضحكَتْ ريحانة فى مُحاولَةٍ لتهدِئَةِ انْفِعالِ الأميرِ :

« هى الآن تعرفُ شـــيئًا عَنْ مشاعرك ، فقد أصبَحَتِ الأميرةُ لا تملُّ مِنَ الاسْتِماعِ إلى حَدِيثى معَها عَنْ تقديرِى للشابِّ الوَسيمِ « بدر باسم » الذى لا يكُفُّ عن إبْداءِ الإعْجابِ بها ! » .

ظهــرت ابتسامـةٌ على وجهِ الأمير بينمَا أضافَ الوزيرُ : « أَمَّا عن حقيقةِ شــخصِيَّتِكَ ، فقد اضطـررْتُ أَنْ أكشفَ عنهَا لدادة ريحانة لِكَىْ تُســاعِدَنا علَــى وَجْهٍ أفْضَــلَ ! .. فَهَلْ تُفَضِّلُ يا مــولاَىَ أَنْ يتقدَّمَ الآنَ لخِطبةِ الأميرةِ « التاجرُ بدر باسم « أم » الأمير شهرمان ؟! » .

ثُمَّ قــالَ فى لهجَةٍ جَادَّةٍ : « لكنْ تَذَكَّرْ يا مولاى أَنَّ ولِىَّ عَهْدِ مملكةِ شــيراز لا يأتــى لِخطبَةِ أميرةٍ إلاَّ فى مَوْكبٍ يليــق به ، بعدَ أَنْ تكونَ البلدُ قَدِ استعدَّتْ كُـلُّها لاسْتقبالِهِ ! » .

ووجدَتْ ريحانة ضَرورة أَنْ تتدخَّلَ فى الحديثِ ، فقالَتْ :

« لَمْ يســبقْ أَنْ تَقــدَّمَ لِخطبةِ « مولاتى حيــاةِ النُّفوسِ » إلاَّ أُمراء ، وهــى تتصوَّرُ دائمًا أَنَّهُمْ يَطْمَعونَ فى ضَمِّ مملكتِنا إلى مَمَالِكِهم ... لمَاذَا لا نُجرِّبُ أَنْ يتقدَّمَ إِلَيْهَا هَذِهِ المَرَّةَ « تاجرُ الحَرير بدر باسم » وليسَ « الأمير شهرمان » ؟ » .

هَـنَّأ الوزيرُ ريحانة على صَــوَابِ تَقْديرِهَا للأُمور ، فأضافَ الأميرُ شهرمان : « عَلَيْنــا إذَنْ تدبيرُ لقاءٍ يتعــرَّفُ فيه أحدُنا عَلى الآخرِ ، بغَيْـرِ أَنْ تشــعرَ الأميرةُ أَنَّنا نقصدُ تحقيقَ غرضٍ مُعيَّنٍ » .

قــالَ الوزيرُ زيدان وهـو يقصـدُ أَنْ يُوحِىَ لريحانة بنَــوْعِ اللِّقاءِ : « ولعلَّكِ لا تَعْرفينَ يا ريحانةُ أَنَّ الأميرَ شهرمان بَطَلٌ مِنْ أبْطَالِ الفروســيةِ ، وأعظَــمُ الأبطَالِ فــى المُبارزةِ ومهاراتِ ألعابِ الخَيْلِ ... ! ».

(٢٠)

تَعاونَـــتْ « دادة ريحانـــة » مَـــعَ « الوزيرِ ســـهمان » وزير مملكةِ بابل ، فى الإيحاءِ للأميرةِ « حياة النفوس » بخطَّتِهما .

قالَتْ دادة ريحانةُ للأميرةِ : « مِنَ المُهِمِّ تَغييرُ الصُّورَةِ الَّتى ارتسمَتْ أمامَ الناسِ بشأنِ موقفِكِ من الرِّجالِ » .

وفـــى لهجةٍ أبَويَّـــةٍ حانِيَةٍ ، قـــالَ الوزيرُ الَّذى طلبَـــتْ منه « دادة ريحانة » أَنْ يعملَ معهَا لبناءِ جُسورٍ جَديدَةٍ مِنَ الثقةِ بينَ ولِيَّةِ العهد ورجَالِ شـــعبهَا : « الحاكمُ يجبُ أَنْ يكـــونَ متوازنًـــا فـــى تعامُلِهِ معَ الرجالِ والنساءِ فى مملكتِهِ .. كيف نرفضُ وَضْعَ الثقةِ فى الرجَالِ وهُمْ نِصْفُ المُجتمَعِ يا مولاتى ؟! » .

قالَتِ الأميـرةُ فى حيرَةٍ : « وَمِـنْ أيْنَ أبدأُ بعدَ أَنْ بدأْتُ أَقْنعُ نَفْسى أنَّ تصرُّفاتِ الرجَالِ قَدْ تكونُ لَهَا أســبابٌ غَيْرُ التى تظهرُ أحيانًا أمامَ أبصَارِنَا ؟ » .

قالَ الوزيرُ : « نُعلِنُ مثـــلاً أنكِ ستشاركينَ والدَكِ ، لأولِ مرَّةٍ ، فـــى مُشاهدَةِ مباراةٍ بينَ شبابِ الفُرْسانِ ! ... » .

ونطـــقَ كلمةَ « شـــباب » فى بُـــطْءٍ ليُؤكِّدَ عليهَا فى ذاكـــرةِ الأميرةِ وعواطِفِها !

أمَّـــا دادة ريحانة فقـــدْ كانَتْ تأملُ أنْ تتعـــرَّفَ مولاتهَا خِلالَ تِلْكَ المُبارياتِ علَى « بدر باسم » زهرةِ الشبابِ .

□□□

لَـمْ يوافقِ الملكُ على إقامَـةِ احتفـالِ المبارياتِ إلاَّ بشـرطِ أَنْ تكونَ المُسابقاتُ تمهيدًا لتختارَ الأميرةُ زَوْجًا لَهَا مِنْ بَيْنِ شَبابِ الفائزينَ ! .

قالَتِ الأميرةُ فى احْتِجاج :

« كيفَ نطمئِـنُّ كلَّ الاطْمِئنانِ إلى فائـزٍ فـى مبارياتٍ ؟! .. هـل مُجـرَّدُ الفَوْز يجعلُهُ زوجًا أرتاحُ إليه أو أَجدُ السـعادةَ معه ؟! كيف نثقُ أنه سيكونُ أفضلَ مَنْ يُشاركُنى الحكْمَ ذاتَ يَوْم ؟ » .

رفَـضَ المَلِكُ أَنْ يتزحْزحَ عَنْ رأيـهِ ، وراحَ يؤكِّدُهُ فى إصْرار : « أَنَا مُتمسِّـكٌ بهَـذا الشَّـرْطِ ، فَلَنْ أقبـلَ بَعْـدَ اليَـوْمِ أَنْ تتلاعَبى بأَحْـلامِ الشـباب ! » .

تحايلَـتِ الأميرةُ وقدْ رأتْ مِقْدارَ تمسُّـكِ والدِهَا بشـرطِهِ : « إذَنْ نجعـلَ هَذَا الشَّرْطَ سرًّا بينَكَ وَبيْنِى يا وَالِدِى ، لِكَىْ لا نتـورَّطَ فـى الموافقةِ عَلـى زوجٍ قَدْ تكونُ أنتَ أوَّلَ مَنْ ترفضُهُ ! » .

وسـكتَ الملكُ لحظـةً يُفكِّـرُ فـى حُجَّـةِ ابنتِـهِ ، لكنّـه لَمْ يوافِـقْ إلاَّ عندَمـا أضافَـتْ : « ولتشـجيعِ شـبابِ الفُرْسـانِ عَلى المُشـاركَةِ فى هَذِهِ المُبارياتِ ، نُعلِنُ أنّنـى سـأقومُ بنفْسِـى ، ولأوَّلِ مـرَّةٍ ، بتسـليم الفائزينَ مـا تمنحُهُ جلالتُكَ لهم مِنْ جوائزَ ونياشينَ » .

(٢١)

جَلسَــتِ « الأميرةُ حياةُ النُّفوسِ » بجوَارِ والدِهَا « المَلِكِ شهَاب الدين » عَلى مقعدَيْنِ مُتجاورَيْنِ ، فوقَ منصَّةٍ عالِيَةٍ تُشرفُ على الميدانِ الرئيسِيِّ المُتَّسِعِ أَمَامَ القصْرِ الملكِيِّ ، حيثُ ستُقامُ أكبرُ مبارياتٍ للفروسيَّةِ تشهدُهَا مملكةُ بابل .

وبدأَتِ المُبارياتُ ، فَلاَحظَتِ الأميرةُ مِنْ بَيْنِ المُتسابِقينَ فارسًا يُخفِــى وجهَــهُ وراءَ قِنــاعٍ ، فلمَّــا سألَــتْ عنــه قَالَ لها الوزيرُ سهمان :

« إنَّه مُتســابقٌ رَفضَ أَنْ يُعلِنَ عَنْ شــخصِيَّتِهِ وهو يقــولَ : اجْعَلُوا مَهَاراتى تُعلِنُ عنّى !! » .

وكانَتْ مُفاجأةُ الحفلِ أَنَّهُ بدأَ بمباراةٍ شــديدَةِ الخُطورةِ فى ترْويضِ فَرسٍ جامِحَةٍ شَــديدةِ العُنفِ ، تشُــبُّ عَلى ســاقَيْها الخلفيتيْنِ كُـلَّمَا اقتربَ منهَا فارسٌ ، وتضرِبُ الأرضَ بحوافرهَا – كأنَّما تدكُّها دَكًّا – كُلَّما حاولَ مُتسابقٌ أَنْ يلمسَهَا .. ! .

وأَخِيرًا تَقدَّمَ ذلكَ الفارِسُ صاحبُ القِناعِ ، وتَحايَلَ حَتَّى جعلَ أشِعَّةَ الشَّمسِ فــى مواجَهةِ عينَى الفَرَسِ ، فأصبحَ ظِلُّها خَلْفَها ... وسرعانَ مَا اسْــتطاعَ أَنْ يعتلِيَ ظَهْرَهَا ... لقدْ أدركَ أن الفرسَ تخافُ مِنْ ظِلِّها كُـلَّمَا تحرَّكَتْ ، فجعلَهُ خلفَها لكى لا تَراهُ .

وارتفعَ هُتافُ النَّاسِ وَتصفيقُهم ، ليسَ فقطْ لشــجَاعتِهِ ، بَلْ لذكَائِهِ وَحِكمتِهِ ..

همسَتِ الأميرةُ لنفسِها :

« هَا هُوَ فارسٌ يَجْمَعُ بينَ الحكْمةِ والشَّجَاعةِ » .

والغريبُ أَنَّ ذلـكَ الفَارسَ نفسَـهُ هُـوَ الـذى فَـازَ بسُـهولـةٍ فـى مُختلَـفِ مُسابَقاتِ المُبارَزةِ ! .

وعندمَـا جـاءَ دَوْرُ ألعابِ الخَيْـلِ ، وقفَ ذلكَ الفـارسُ عَلى ظَهْرِ حصانِهِ يَجْرى به حَوْلَ السَّـاحَةِ بغَيْرِ أَنْ يسـقطَ أَوْ يفقدَ توازُنَهُ ، ثمَّ تَعَلَّقَ بالسَّرجِ والجماهيرُ يتعالَى تصفيقُهَا إعْجَابًا بجَسَارتِهِ ومهَاراتِهِ ، والهتافُ يتكَرَّرُ مُدوِّيًا :

« يعيشُ الفارسُ المُقنَّع » .. « الجائزةُ لصاحِبِ القِناعِ ! »

وكانَ مِـنَ الطبيعِىِّ أَنْ تُعلِـنَ لجنةُ الحُكَّام فَوْزَ ذلـكَ الفارِسِ ، ثُمَّ تطلبَ منه أَنْ يتقدَّمَ إلى مَلِكِ البلادِ ليُعلِنَ عَنْ شَـخصيَّتِهِ ، ويتسـلَّمَ مِنَ الأَميرةِ أَرْفَعَ الأَوْسمةِ والجوائزِ .

وَفِى ثقةٍ تقدَّمَ الفارسُ صاحبُ القناعِ نَحْوَ عرشِ المَلِكِ ووَلِيَّةِ عهدِهِ ، وَانْحنَى فى رشَاقةٍ وهو يقولُ :

« أقـدِّمُ انتصَارَاتى إلى مولاَتى الأميرةِ ولِيَّـةِ العَهدِ ، لعلَّها تقبلُنى فارسًا لها ! » .

قالَ الملكُ فى إعجابٍ وسـعادةٍ : « دَعْنـا أولاً نتعرَّفُ علَيْكَ ، لأنَّكَ جمعتَ اليَوْمَ بينَ الحكْمةِ والشَّجاعةِ ! » .

هُنَـا تَحَـرَّكَ الفارسُ إلى يَسَـارِ المنصَّةِ ، فأصبحَ يُواجِـهُ الجمَاهِيرَ المُحْتشِـدةَ الَّتِى تهتِفُ له ، وفى الوقْتِ نفسِـهِ يسـتطيعُ رؤيةَ المَلِكِ والأميرةِ ... ثم رفعَ يَدَيْهِ ونزعَ القِناعَ ببُطْءٍ عَنْ وجهِهِ ..

وارتفعَتْ فِى السَّاحةِ صَيحاتُ دهشَةٍ عاليةٌ :

« تاجرُ شيراز « .. « بدر باسم !! .. » .

وأصَـابَ القلـقُ المَلِكَ عندما سَمِعَ كلمة « تاجر » ، بينما ابتسـمَتِ الأميرةُ راضيةً ، فقد عرفَتْ كثيرًا مِنْ مُربيتِها عن « التاجر بدر باسم » وعَنْ نُبْلِ أخلاقِهِ وحكْمةِ تصرُّفاتِهِ واتّساعِ أُفُقِهِ وثقافتِهِ .

أمَّا الملكُ ، فإنه فِى قَلقٍ وبغَيْرِ حَماسٍ سَأَلَ الشابَّ الَّذِى يقفُ أمامَهُ :

« هَلْ أنتَ فارِسٌ أم تاجِرٌ ؟!! » .

وقاطَعَ هُتافَ الجماهير سُؤَال المِلِكِ : « يعيشُ الفارسُ بدر باسم ».

وفـى هُدوءٍ قالَ الأميرُ للملِـكِ : « لقـد عرفَنى أهلُ بلدِكُم علَى أنَّنِى « التاجـرُ بدر باسـم » ، وَأسـتأذنكُم أَنْ تعرِفُوا الآنَ يا مَـوْلاىَ أنَّنِى « الأميرُ شهرمان » ولِى عهدِ مملكةِ شيراز » .

واختلطَ الأمرُ على الملِكِ ، فمالَتِ ابنتُهُ الأميرةُ عَلى أُذنِهِ هامسَةً :

« إنه أميرٌ جاءَ مُتخفِّيًا كتاجر ... »

وازدادَ الأمرُ غُمُوضًا عَلى الملكِ ، فهمَسَ لابنتِهِ فى ضيق :

« ولماذَا لَمْ يأتِ كأميرٍ وولِى للعهدِ ؟! كُـنَّا سنُكرِمُهُ أَفْضلَ إكرام ! » .

وزادَ ابتسـامُ الأميرةِ وهى تتأمَّلُ وسَـامةَ الأمير وشبابَهُ ، فتَهمِسُ لنفسِهَا :

« كيـفَ أَجْعَـلُ والدِى يفهَـمُ حِيَلَ الشـباب لِلوُصـولِ إلى تحقيق أحْلاَمِهم ؟! » .

ولِكَـىْ تُجيـبَ عـنْ تسـاؤلِهَا ، رأتهَا الجماهيرُ تهـبُّ واقفةً فى حَماسٍ ، ثُمَّ انطلقَتْ تصفِّقُ فِى حرارةٍ وتهتفُ بالنَّاسِ :

« .. يعيشُ الفارسُ الأميرُ شهرمان ولِىُّ عهد شيراز » .

لقد قــرَّرَتْ وهى تهتفُ ، أَنْ تضَعَ نهايةً حاسِمَةً ســعيدةً لإخضاعِ حياتِهَا لتفسيراتِ الأحلامِ الخادعَةِ !! .

وسكتَتِ الجماهيرُ لحظَةً لتستوعبَ معنَى كلامِ الأميرةِ ...

ثُــمَّ انفجــرَ التصفيقُ والهتافُ مــرَّةً ثانيةً ، بَينما المَلِــكُ يردِّدُ فى حيرةٍ : « أنا لا أفهمُ كلَّ هَذَا الذِى يحدثُ أَمَامِى ؟! » .

وانطلقَتِ الأمـيرةُ تضحكُ فِى مَرَحٍ وَهِىَ تتبادَلُ مَعَ الأميرِ شهرمان نَظراتٍ تحمِلُ كثيرًا من المَعَانى ...

ثُمَّ طوَّقَتْ كَتِفَىْ والدِهَا وَهِىَ تهمِسُ له فِى فرحٍ :

« أمَّا أنَا .. فَقَدْ فهمْتُ كُلَّ شَىْءٍ بوضُوحٍ يَا وَالدِى !! » .

« تمت »